محددات الفتوى الرقمية في القضايا المستجدة:
دراسة نقدية في منهجية التعامل مع تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي

آميمة حاجي

باحثة بسلك الماستر تخصص الابتكار البيداغوجي
في تدريس العلوم الإنسانية والاجتماعية

المدرسة العليا لتربية والتكوين _ القنيطرة

الملخص:

يتناول البحث التحولات التي عرفها الوسيط الإفتائي مع صعود الذكاء الاصطناعي التوليدي، حيث انتقلت الفتوى من المشافهة والتدوين إلى الفضاء الرقمي، مبرزا إشكالية الفجوة بين قدرة الخوارزميات على إنتاج النصوص وعجزها عن فهم السياقات الخاصة وتحقيق المقاصد. ويخلص إلى أن الاعتماد الكامل على هذه النماذج يهدد دقة الفتوى بسبب ظاهرة الهلوسة المعلوماتية، مما قد يؤدي إلى تزييف المعرفة. لذلك يقترح البحث مقاربة تكاملية توظف الذكاء الاصطناعي كأداة مساعدة، مع الحفاظ على الدور الحاسم للإنسان في استنباط الأحكام، حمايةً لخصوصية المعرفة الدينية.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي التوليدي، تحقيق المناط، الوسيط الإفتائي، الهلوسة المعلوماتية، المقاصد الشرعية، التكامل النقدي.

Abstract :

The study examines the transformations of the fatwa mediation process with the rise of generative artificial intelligence, as fatwas have shifted from oral transmission and written scholarship to the digital space. It highlights a key methodological gap between algorithms' ability to generate text and their inability to grasp specific contexts and fulfill legal reasoning requirements. The study concludes that full reliance on such models threatens the accuracy of fatwas due to the phenomenon of "hallucination," which may lead to the distortion of knowledge. It therefore proposes an integrative approach that uses AI as a supportive tool while preserving the decisive role of human scholars in deriving rulings, in order to safeguard the integrity of religious knowledge.

Keywords : generative artificial intelligence, contextual determination, fatwa mediation, informational hallucination, maqasid al-sharia, critical integration.

مقدمة

تعد الفتوى في السياق الشرعي صمام أمان معرفي يربط بين نصوص الوحي وواقع المكلفين المتغير، إلا أننا نشهد اليوم تحولا بنيويا في "سلطة المعرفة" نتيجة التغلغل المتسارع لتقنيات الذكاء الاصطناعي التوليدي (Generative AI)[1]، إن هذا الانتقال من "الفتوى الواقعية" القائمة على المشافهة والنظر المقاصدي، إلى "الفتوى الرقمية" التي تعيد خوارزميات الذكاء الاصطناعي إنتاجها.

وفي هذا الصدد يؤكد الباحث غاري بانت (Gary Bunt) أن "بزوغ سلطة دينية مدفوعة بالذكاء الاصطناعي يتحدى الاحتكار التقليدي للعلماء للتفسير القانوني، مما يخلق بيئة إسلامية سيبرانية (Cyber-Islamic Environment) حيث تساهم الخوارزميات في تشكيل الممارسة الدينية" .[2]

إن الفجوة المنهجية تتبلور بين "الذكاء الخوارزمي" الذي يجمع الشتات المعرفي بسرعة فائقة، وبين "العقل الأصولي" الذي ينظر في المآلات وسياقات المستفتي الخاصة، فبينما توفر الرقمنة سرعة الوصول للمعلومة الفقهية فإنها تقع في مأزق "التنميط الرقمي" الذي قد يغفل المقاصد الضرورية والتحسينية للشريعة، مما قد يؤدي إلى فتاوى محرفة ناتجة عما يسمى تقنيا بـ "الهلوسة المعلوماتية" (AI Hallucinations)[3]؛ وهي حالة تولد فيها الآلة معلومات تبدو صحيحة لغويا لكنها تفتقر إلى أي أصل واقعي أو نصي دقيق.

وقد أشار الإمام ابن القيم سابقا إلى أن "الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعوائد والأحوال"[4]، وهذا التغير يستلزم بصيرة نافذة بالواقع وهو ما لا يمكن للبرمجيات إدراكه مهما بلغت دقة بياناتها.

ومن هنا فإن هذا البحث ينطلق من فرضية مؤداها أن الذكاء الاصطناعي التوليدي يظل "أداة خادمة" للفقيه لا بديلة عنه، حيث إن الخطر الكامن في استخدام نماذج اللغات الضخمة (LLMs) للاستشارات القانونية أو الدينية يكمن

---

[1] **الذكاء الاصطناعي التوليدي (Generative Artificial Intelligence):** هو فرع من فروع الذكاء الاصطناعي يركز على إنشاء محتوى جديد (نصوص، صور، بيانات) يحاكي النتاج البشري، بناءً على تعلم أنماط من بيانات ضخمة سابقة، وليس مجرد تحليل البيانات الموجودة أو تصنيفها.

[2] Bunt, Gary R. Hashtag Islam: How Cyber-Islamic Environments are Reshaping Religious Spheres. Chapel Hill: University of North Carolina Press, 2018, p. 15.

[3] **الهلوسة المعلوماتية (AI Hallucinations):** مصطلح تقني يصف الحالة التي يقوم فيها نظام الذكاء الاصطناعي بتوليد إجابات تبدو مقنعة ومنطقية من الناحية اللغوية، لكنها خاطئة تماماً أو مخترعة ولا تستند إلى حقيقة نصية؛ مثل اختراع أسماء كتب أو عزو أحكام فقهية وهمية لعلماء سابقين.

[4] محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية، 1991م، ج 3، ص 11.

في طبيعتها "العشوائية الإحصائية" (Stochastic)، حيث تعطي هذه النماذج الأولوية للتماسك اللغوي على حساب الحقيقة الوجودية أو النصية.

إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية هذا المقال حول التباين المنهجي والجوهري بين "العقل الفقهي" القائم على إدراك المقاصد وسياقات المكلفين، وبين "الذكاء الخوارزمي" القائم على المعالجة الإحصائية والاحتمالية للنصوص، تكمن المشكلة في أن تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي أصبحت تقدم إجابات فقهية تبدو متسقة لغويا، لكنها تفتقر إلى "الملكة الفقهية" اللازمة لتحقيق المناط وهو ما قد يؤدي إلى توليد أحكام شرعية "مبتورة السياق" أو مشوبة بما يعرف تقنيا بـ "الهلوسة المعلوماتية".

إن الخطر لا يكمن فقط في دقة المعلومة، بل في "تنميط الفتوى" وتحويلها إلى مجرد مخرجات رقمية عشوائية تفتقر إلى البصيرة الأخلاقية والمقاصدية التي اشترطها الأصوليون في المفتي.

بناء على هذه الإشكالية، يسعى المقال للإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما هي طبيعة الفتوى الرقمية المتولدة عبر نماذج اللغات الضخمة، وكيف تختلف بنيويا عن الفتوى الصادرة عن المجتهد البشري من حيث "التصور" و"التصديق"؟
- إلى أي مدى تؤثر "الهلوسة الخوارزمية" وعدم موثوقية العزو النصي في هذه النظم على مصداقية البحث الشرعي الرقمي؟
- ما هي المحددات المنهجية والأخلاقية التي يجب وضعها لضبط استخدام الذكاء الاصطناعي في المؤسسات الإفتائية لضمان عدم المساس بخصوصية الاجتهاد الشرعي؟

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة لتبرر ضرورة البحث في هذا الموضوع المتشابك، حيث تتجلى قيمتها العلمية والعملية في رصد التحولات العميقة التي طرأت على "صناعة الفتوى" في العصر الرقمي، وتبرز هذه الأهمية في النقاط الآتية:

1. الأهمية العلمية (التأصيلية):

تكمن الأهمية العلمية في محاولة سد الفجوة المنهجية بين علوم الشريعة وعلوم الحاسوب، من خلال نقل النقاش من مجرد "استخدام التقنية" إلى "نقد عقل التقنية" ومحاكمته للأصول الفقهية، إن بناء "منطق فقهي رقمي" يستلزم فهم كيفية تحويل النصوص إلى مدخلات برمجية دون الإخلال بقدسيتها أو دلالاتها المقاصدية.

"إن رقمنة التراث الفقهي ليست عملية تقنية محايدة، بل هي إعادة صياغة للسلطة الدينية في الفضاء الرقمي، مما يستوجب وضع معايير علمية تضمن سلامة الاستنباط." [1]

2. الأهمية العملية (الو اقعية):

تتجلى الأهمية العملية في التصدي لظاهرة "فوضى الفتوى الرقمية" التي سببتها تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي، حيث تسعى الدراسة لتقديم إطار لـ"المساءلة الخوارزمية" (Algorithmic Accountability)[2]؛ ويقصد بها تحديد المسؤولية القانونية والأخلاقية عن المخرجات التي تولدها الأنظمة الذكية وتأثيرها على المستخدمين.

"إن الاعتماد السريع للذكاء الاصطناعي في السياقات الدينية يستلزم إطارا قويا للمساءلة الخوارزمية لمنع انتشار المعلومات المضللة." [3].

3. حماية الأمن المعرفي والشرعي:

تساهم هذه الدراسة في حماية "الوعي الشرعي" من "التحيز الرقمي" (Algorithmic Bias)[4]؛ وهو ميل الخوارزمية لترجيح آراء أو بيانات معينة بناء على طبيعة البيانات التي غُذيت بها (Data Training)، مما قد يؤدي لتهميش المذاهب الفقهية المعتبرة أو تغليب فتاوى شاذة.

---

[1] Bunt, Gary R. Hashtag Islam. University of North Carolina Press, 2018, p. 82.

[2] **المساءلة الخوارزمية (Algorithmic Accountability):** يقصد بها الإطار الأخلاقي والقانوني الذي يحدد الجهة المسؤولة عن النتائج أو القرارات التي تصدرها الأنظمة المؤتمتة. وفي سياق البحث، تشير إلى ضرورة وجود مرجعية بشرية (فقيه أو مؤسسة) تتحمل مسؤولية صحة الفتوى الناتجة عن الآلة، وضمان عدم تسببها في تضليل ديني.

[3] Noble, Safiya U. Algorithms of Oppression. NYU Press, 2018, p. 162.

[4] **التحيز الرقمي / الخوارزمي (Algorithmic Bias):** هو حدوث أخطاء نظامية ومتكررة في مخرجات النظام الذكي تؤدي إلى نتائج غير عادلة أو ترجيح كفة رأي على آخر. ويحدث هذا في الفقه الرقمي عندما يتم تدريب الآلة على مدونات مذهب واحد أو آراء شاذة، مما يجعل الآلة "تتحيز" لهذه الآراء وتهميش المذاهب المعتبرة الأخرى.

"إن صيانة العلم الشرعي من الدخيل هي من أوجب الواجبات، خاصة في زمن اختلط فيه الحق بالباطل" [1]عبر الوسائط التقنية التي لا تميز بين الثابت والمتغير.

4. الريادة في هندسة الفقه الرقمي:

تفتح هذه الدراسة آفاقا جديدة لما يمكن تسميته بـ"هندسة الفقه الرقمي"[2]، حيث تسهم في وضع اللبنات الأولى لمواصفات برمجية تراعي خصوصية "الاجتهاد الإسلامي"، وتضمن ألا تتحول الآلة إلى مفتي مستقل بل تظل أداة مساعدة تحت إشراف "الفقيه المتبصر".

أهداف الدراسة:

تتحدد أهداف الدراسة في سياق هذا المقال العلمي برسم معالم واضحة للإجابة عن الإشكالية المطروحة، وتتوزع بين أهداف نظرية تأصيلية وأخرى تطبيقية نقدية، وذلك وفق الآتي:

1. تحديد الماهية التقنية والشرعية للذكاء الاصطناعي التوليدي:

يهدف البحث ابتداء إلى تفكيك مفهوم الذكاء الاصطناعي التوليدي من منظور "فقهي رقمي"، لبيان طبيعة عمل نماذج اللغات الضخمة (LLMs) [3]وكيفية تعاملها مع النصوص المقدسة، وهل يمكن اعتبار مخرجاتها "فتوى" بالمعنى الاصطلاحي أم مجرد "نقل معلوماتي".

"إن فهم الآلية التي تتبعها الخوارزميات في توليد النص هو الخطوة الأولى للحكم على صدقية النتائج الشرعية الصادرة عنها."[4]

---

[1] الريسوني، أحمد. الاجتهاد: النص والمصلحة والواقع. دار الكلمة، 2014م، ص 178.

[2] **هندسة الفقه الرقمي (Digital Fiqh Engineering):** هو حقل معرفي بيني يسعى لتطبيق مبادئ الهندسة البرمجية على المعارف الفقهية، بهدف بناء أنظمة ذكية تراعي خصوصية النص الشرعي وتلتزم بضوابط الاستنباط الأصولي، لضمان مخرجات رقمية منضبطة بالشرع.

[3] **نماذج اللغات الضخمة (Large Language Models - LLMs):** هي خوارزميات تعلم عميق (Deep Learning) مدربة على مجموعات بيانات نصية هائلة، تمكنها من فهم وتوليد النصوص البشرية والتنبؤ بالكلمة التالية في السياق بناءً على الاحتمالات الإحصائية، ومن أشهر أمثلتها نظام (GPT).

[4] Russell, Stuart. Human Compatible: Artificial Intelligence and the Problem of Control. New York: Viking, 2019, p. 82.

2. **رصد وتحليل مخاطر "الهلوسة المعلوماتية" في البحث الفقهي:**

يسعى المقال إلى كشف الانزلاقات العلمية التي قد تقع فيها النظم الذكية، خاصة فيما يتعلق بـ "عزو الأقوال" و"تخريج الأحاديث"، وتبيان أثر ذلك على الأمن الفقهي [1] للمستفتي.

3. **الموازنة المنهجية بين "العقل الأصولي" و"الذكاء الخوارزمي":**

يهدف البحث إلى إبراز الفوارق الجوهرية بين قدرة الآلة على "المطابقة اللفظية" وقدرة الفقيه على "تحقيق المناط"، مع بيان حدود الاستغناء عن العنصر البشري في العملية الإفتائية.

"إن الهدف ليس إلغاء التقنية، بل بيان عجزها عن إدراك سياقات المكلفين ومقاصد المكلف، وهو ما نص عليه الأصوليون كشرط لصحة الفتوى."

4. **وضع إطار معياري وأخلاقي لاستخدام الذكاء الاصطناعي في الإفتاء:**

يتمثل الهدف الأسمى للدراسة في صياغة "ميثاق رقمي" أو محددات ضابطة تلتزم بها المؤسسات الدينية عند توظيف هذه التقنيات، بما يضمن سيادة المنهج الشرعي [2] على الأدوات التقنية.

منهجية البحث:

تقتضي طبيعة هذا البحث، الذي يجمع بين الأصالة الأصولية والمعاصرة الرقمية، اعتماد توليفة منهجية متكاملة تسمح برصد الظاهرة وتحليلها ونقدها وفق القواعد العلمية الرصينة، وذلك من خلال المناهج الآتية:

1. **المنهج الوصفي التحليلي (Descriptive Analytical Method):**

يستخدم هذا المنهج في تتبع واقع "الفتوى الرقمية" وتفكيك بنية الذكاء الاصطناعي التوليدي والوقوف على آليات عمل نماذج اللغات الضخمة (LLMs)، الهدف هنا هو وصف كيفية معالجة هذه الأنظمة للنصوص الشرعية وتحليل مخرجاتها بعيدا عن الانطباعات العامة.

---

[1] **الأمن الفقهي (Juridical Security):** حالة من الطمأنينة المعرفية لدى المستفتي بأن الفتوى التي تلقاها مستمدة من مصادر صحيحة ومنهجية منضبطة.

[2] **السيادة المنهجية (Methodological Sovereignty):** خضوع الأدوات التقنية والذكاء الاصطناعي لضوابط وأصول علم أصول الفقه، وليس العكس.

"إن المنهج الوصفي في الدراسات البينية الرقمية يسمح برصد الفجوات التقنية قبل إصدار الأحكام المعيارية عليها."

2. المنهج النقدي (Critical Method):

يُعتمد هذا المنهج لمحاكمة المخرجات الرقمية إلى الأصول والقواعد الفقهية المستقرة، فالبحث لا يكتفي بوصف التقنية بل ينقد "العشوائية الإحصائية" (Stochasticity)[1] في الخوارزميات، ويبرز عجزها عن تحقيق المناط وتصور مقاصد المكلفين.

3. المنهج الاستنباطي (Deductive Method):

يوظف هذا المنهج في استخراج "المحددات الضابطة" لاستخدام التقنية في البحث الشرعي، وذلك من خلال تنزيل القواعد الأصولية العامة على النازلة الرقمية المعاصرة، للوصول إلى إطار معياري يحكم العلاقة بين الفقيه والآلة.

4. المنهج المقارن (Comparative Method):

يستخدم للمقارنة بين "الذكاء الخوارزمي" و"الملكة الفقهية" البشرية، لإبراز مواطن القصور في الأول ومواطن التميز في الثانية، خاصة في المسائل التي تفتقر للنص المباشر وتستدعي النظر في المآلات.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والسياق الرقمي للفتوى.

لا يمكن مقاربة إشكالية الذكاء الاصطناعي في العلوم الشرعية دون فهم دقيق للبنية المعرفية والتقنية التي تقوم عليها هذه النظم، وكيف تقاطعت مع التطور التاريخي لمؤسسة الإفتاء فهذا القسم يسعى إلى وضع أرضية مفاهيمية صلبة من خلال تفكيك ماهية الذكاء الاصطناعي التوليدي (Generative AI) ورصد تحولات الفتوى من صيغتها "المشافهية" التقليدية إلى صيغتها "المؤتمتة"[2] المعاصرة.

وللإحاطة بهذا الجانب بشقيه التقني والتاريخي، سيتناول هذا القسم مطلبين أساسيين:

---

[1] **العشوائية الإحصائية (Stochasticity):** الاعتماد على الاحتمالات الرياضية في إنتاج النتائج، وهو ما يجعل مخرجات الذكاء الاصطناعي غير مستقرة أو متغيرة لنفس السؤال أحيانا.

[2] **لأتمتة (Automation):** هي أن تقوم الآلة بـ "التفكير" نيابة عن الإنسان وإعطاء الحكم الشرعي مباشرة.

المطلب الأول: يركز على الجانب التقني الصرف، من خلال بيان ماهية الذكاء الاصطناعي التوليدي وآليات عمله في معالجة اللغات الطبيعية.

المطلب الثاني: يستعرض البعد الزمني والوسيطي، عبر تتبع تطور الفتوى من المشافهة إلى الرقمنة، وقراءة التحولات التاريخية والوسائل التي أدت لبروز "المفتي الرقمي".

المطلب الأول: ماهية الذكاء الاصطناعي التوليدي وآلية عمله في معالجة اللغات الطبيعية

يعرف الذكاء الاصطناعي التوليدي (Generative AI) بأنه طفرة تقنية انتقلت بالأنظمة البرمجية من دور "المستودع الرقمي" الذي يكتفي باسترجاع النصوص، إلى دور "الصانع" الذي يولد محتويات معرفية تحاكي الانتاج البشري، وبناء على الرؤية التأصيلية المعاصرة فإن هذه النظم لا تملك "وعيا مقاصديا"، بل هي أدوات تعتمد على "المحاكاة اللغوية"[1]؛ حيث يشير الدكتور أحمد الريسوني إلى أن "الاجتهاد وصف يقوم بذات الفقيه" [2]مما يستلزم ملكة لا تنقل عبر الأكواد البرمجية، مما يجعل مخرجات الآلة مجرد "وعاء للمعلومات" وليست محلا للاجتهاد الشرعي بالمعنى الأصولي.

ومن الناحية التقنية تعتمد هذه النظم على نماذج اللغات الضخمة (LLMs) التي تعالج النصوص الشرعية عبر "النمذجة الإحصائية"[3]؛ فهي تتنبأ بالكلمة التالية بناءا على تكرار ورودها في المدونات الفقهية السابقة، وفي هذا السياق يوضح الباحث ستيوارت راسل (Stuart Russell) أن هذه النماذج هي في الحقيقة "محركات تنبؤ إحصائية تستخدم الاستدلال الاحتمالي لتوليد تتابعات نصية، وهي تفتقر تماما إلى أي فهم دلالي (Semantic Understanding) [4] للنصوص التي تنتجها".[5]

إن جوهر الاختلاف بين "العقل الفقهي" و"الذكاء الاصطناعي" يكمن في آلية العم، فبينما يعتمد الفقيه على "الاستنباط" و"تحقيق المناط" من خلال فهم سياق المكلف، تعتمد الآلة على "معمارية المحولات" (Transformer Architecture) التي تحلل العلاقات الرياضية بين الكلمات، وهذا ما يجعل المخرجات الرقمية عرضة لما يعرف بـ"الهلوسة المعلوماتية" (AI Hallucinations)، وهي حالة تولد فيها الآلة أحكاما فقهية واثقة لكنها مخترعة، وقد أكدت الدراسات

---

[1] **المحاكاة اللغوية (Linguistic Mimicry):** قدرة الآلة على تقليد أسلوب الكتابة البشرية (مثل أسلوب الفتاوى) دون إدراك للمعاني العقدية أو التشريعية الكامنة خلف الكلمات.

[2] الريسوني، أحمد. الاجتهاد: النص والمصلحة والواقع. الدار البيضاء: دار الكلمة، ط 1، 2014م، ص 112

[3] **النمذجة الإحصائية (Statistical Modeling):** تحويل النصوص الشرعية إلى قيم عددية واحتمالات رياضية لتسهيل معالجتها آليا.

[4] **الفهم الدلالي (Semantic Understanding):** القدرة على إدراك المعنى والمقصد من النص، وهو ما تفتقر إليه الخوارزميات التي تكتفي بالتعامل مع الرموز اللغوية.

[5] Russell, Stuart. Human Compatible. New York: Viking, 2019, p. 78.

التقنية الحديثة أن "خطر هذه النماذج يكمن في قدرتها على تقديم معلومات مختلقة بصيغة لغوية محكمة، مما يقوض موثوقية المراجع الحساسة مثل النصوص الدينية".[1]

وبناء على ما سبق يمكن القول إن "المفتي الآلي" يفتقر لشرط "البصيرة" الذي وضعه الأصوليون، فإذا كان الإمام الشاطبي قد اشترط في المجتهد "فهم مقاصد الشريعة على كمالها"[2]، فإن الذكاء الاصطناعي لا يدرك من المقاصد إلا "تكرار الألفاظ"، وهو ما يستوجب الحذر من اعتبار مخرجاته حجة شرعية مستقلة.

المطلب الثاني: تطور الفتوى من المشافهة إلى الرقمنة: قراءة في التحولات التاريخية والوسائل

شهدت مؤسسة الإفتاء عبر التاريخ الإسلامي تحولات وسيطية (Mediated Transformations) عميقة، بدأت من مرحلة "المشافهة" التي ميزت عصر الصحابة والتابعين، حيث كانت الفتوى اتصالا حيا يراعي سياق المستفتي وقرائن أحواله، ومع تدوين المذاهب الفقهية انتقلت الفتوى إلى مرحلة "التدوين" والكتب، مما أضفى عليها نوعا من الاستقرار المنهجي لكنها ظلت مرتبطة بـ"المجلس الفقهي" المباشر.

ومع مطلع القرن الحادي والعشرين أحدثت "الثورة الرقمية" قطيعة مع الوسائط التقليدية فظهرت "الفتوى الإلكترونية" عبر المواقع والمنتديات وصولا إلى تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي، إن هذا التحول ليس مجرد تغيير في "الوعاء" بل هو إعادة تشكيل لـ "سلطة المعرفة الدينية"، حيث يرى الباحث غاري بانت (Gary Bunt) أن "بروز السلطة الدينية في الفضاء السيبراني أدى إلى تحول جذري في كيفية التحقق من المعرفة الدينية وبناء الشرعية الإفتائية بعيدا عن المؤسسات التقليدية".[3]

أما من الناحية الشرعية فإن هذا الانتقال يطرح تحدي "الغيبة المكانية" وتأثيرها على "تحقيق المناط الخاص".[4] فالمفتي كان يرى السائل ويسمع لهجته ويدرك حاله، بينما الفتوى الرقمية تتعامل مع "نص جاف" تم إدخاله في محرك

[1] Ji, Ziwei, et al. "Survey of Hallucination in Natural Language Generation." ACM Computing Surveys, Vol. 55, No. 12, 2023, p 7.

[2] الشاطبي، إبراهيم. الموافقات. تحقيق: مشهور آل سلمان. الخبر: دار ابن عفان، 1997م، ج 5، ص 41.

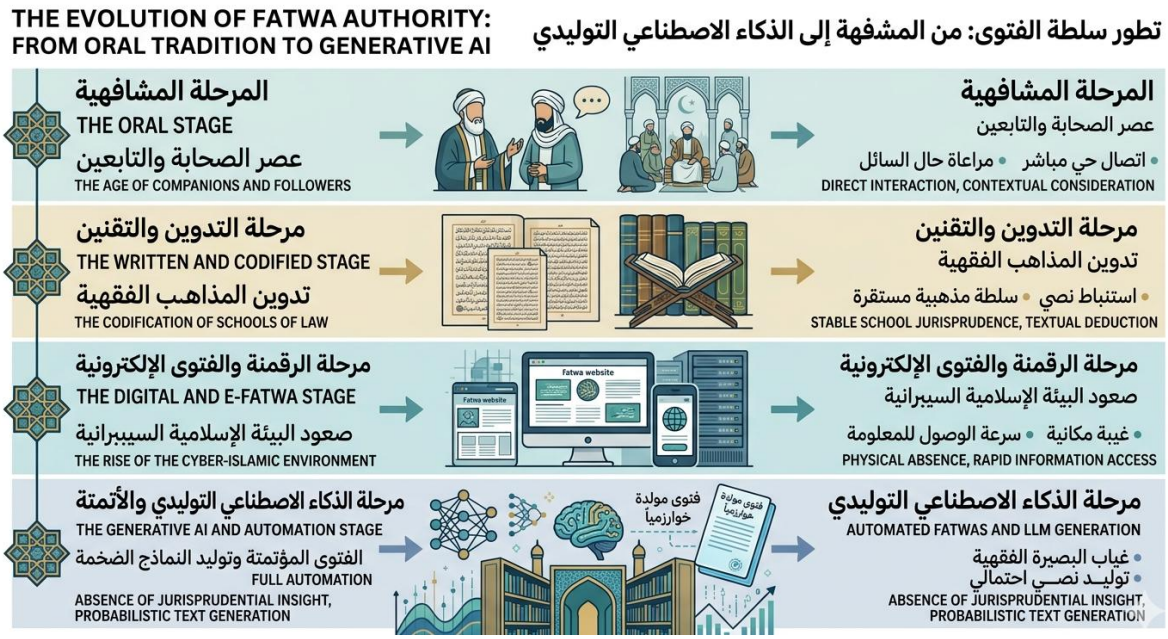
[3] Bunt, Gary R. Hashtag Islam. University of North Carolina Press, 2018, p. 74

[4] **تحقيق المناط الخاص (Specific Verification of the Ratio):** هو تنزيل الحكم الكلي على واقعة معينة لشخص معين بالنظر إلى ظروفه الخاصة، وهو ما يصعب على الآلة تحقيقه بدقة لغياب البصيرة البشرية.

بحث، وفي هذا السياق يشير الإمام القرضاوي إلى أن الفتوى في النوازل المستجدة تتطلب تصورا دقيقا للواقعة[1]، والوسائل الرقمية اليوم أصبحت جزءا لا يتجزأ من هذا التصور، لكنها تفتقر لروح التفاعل البشري.

إن أخطر مراحل هذا التطور هي مرحلة "الأتمتة الكاملة" (Full Automation) [2]التي نعيشها مع نماذج اللغات الضخمة، حيث لم يعد "المفتي الرقمي" مجرد وسيط ينقل فتوى فقيه سابق بل أصبح "مولدا" لفتوى جديدة بناءا على احتمالات لغوية.

بناءا على هذا المسار يتضح أن الرقمنة قد وسعت نطاق الوصول للفتوى، لكنها في المقابل قلصت من مساحة "البصيرة الفقهية" القائمة على المشافهة مما يستدعي وضع ضوابط لاستعادة "الروح المقاصدية" في الوسائل الرقمية المستحدثة.



[1] القرضاوي، يوسف. الفتوى بين الانضباط والتسيب. القاهرة: دار الشروق، ط 3، 2008م، ص 45.

[2] **الأتمتة الكاملة (Full Automation):** هي الحالة التي يقوم فيها النظام التقني بجميع مراحل العملية (من استقبال السؤال إلى صياغة الفتوى) دون تدخل بشري في أي مرحلة وسيطة.

المحور الثاني: التحديات الأصولية والمنهجية في "المفتي الآلي"

بعد رسم الملامح التقنية والتاريخية للذكاء الاصطناعي في القسم الأول، ينتقل البحث هنا إلى "المحاكمة الأصولية" لهذا الوافد الرقمي إذ الإشكال ليس في قدرة الآلة على الحفظ بل في أهليتها للاستنباط، إن هذا القسم يسعى إلى استنطاق القواعد الكلية في مواجهة "الفتوى المؤتمتة"، لبيان مدى انضباط مخرجات الخوارزمية لمقاصد الشارع وسياقات المكلفين.

ولتحقيق هذا الغرض النقدي، ينتظم هذا القسم في مطلبين أساسيين:

المطلب الأول: إشكالية "تحقيق المناط الرقمي"، ويناقش مدى قدرة الخوارزمية على فهم سياقات المستفتي وتنزيل الأحكام على الوقائع المتغيرة.

المطلب الثاني: موثوقية النص الشرعي في ظل "الهلوسة المعلوماتية"، ويتناول المخاطر العلمية الناتجة عن التوليد النصي الاحتمالي وأثرها على صيانة الوحيين.

المطلب الأول: إشكالية "تحقيق المناط الرقمي": هل تستطيع الخوارزمية فهم سياقات المستفتي؟

يعد "تحقيق المناط" (Verification of the Ratio Legis) من أدق مسالك الاجتهاد، وهو العملية التي يتم فيها تنزيل الحكم الكلي على الواقعة الجزئية بعد التأكد من وجود علة الحكم فيها، وتكمن الإشكالية الجوهرية هنا في أن الفتوى ليست مجرد "استدعاء نصي" بل هي "صناعة" تزاوج بين فقه النص وفقه الواقع.

من الناحية الأصولية ينقسم تحقيق المناط إلى عام وخاص، وإذا كانت الآلة قد تنجح في "المناط العام" (بمعنى استخراج الحكم العام لمسألة ما)، فإنها تعجز بنيويا عن "المناط الخاص" الذي يستلزم النظر في حال المستفتي، وزمانه، ومكانه، ومآلات الفعل، ويؤكد الإمام الشاطبي أن هذا النوع من الاجتهاد لا يمكن أن يحده ضابط تقني مطرد بل هو "نظر يرجع إلى ما استقر في نفس المجتهد من مقاصد الشريعة" [1]

أما من الناحية الرقمية فإن الذكاء الاصطناعي يتعامل مع "السياق" باعتباره "نافذة سياقية" (Context Window) [2]تتكون من مجموعة كلمات متجاورة إحصائيا، بينما السياق الفقهي هو "قرائن أحوال" و"مقاصد مكلفين"،

---

[1] الشاطبي، إبراهيم. الموافقات. دار ابن عفان، 1997م، ج 4، ص 95.

[2] **النافذة السياقية (Context Window):** مصطلح تقني يعبر عن عدد الكلمات أو الرموز التي يستطيع الذكاء الاصطناعي معالجتها في وقت واحد لربط أجزاء النص ببعضها.

إن الخوارزمية تفتقر لما يسميه الفلاسفة التقنيون "الفهم المتجسد" (Embodied Understanding)[1]؛ أي القدرة على إدراك الواقع المعيشي خارج حدود النص الرقمي.

"إن النظم الذكية تعالج الرموز اللغوية دون أن تملك ولوجا إلى المعنى الوجودي للواقع، مما يجعل تنزيلها للأحكام تنزيلا آليا يغفل عن الاستثناءات والضرورات التي يقدرها الفقيه البشري."[2]

وبناء عليه فإن محاولة "رقمنة تحقيق المناط" تصطدم بعقبة "السيادة البشرية على المعنى"؛ فالفقه الإسلامي يقوم على "التيسير" و"رفع الحرج"، وهي معايير قيمية يصعب تحويلها إلى معادلات رياضية (Algorithms) ثابتة، فبينما قد تفتي الآلة بحرمة فعل ما بناء على ظاهر النص، قد يرى الفقيه إباحته بناء على "فقه الضرورة" أو "تغير العوائد"، وهو ما لا تدركه نماذج اللغات الضخمة التي تقتات على الماضي الإحصائي للنصوص.

المطلب الثاني: موثوقية النص الشرعي في ظل "الهلوسة المعلوماتية": مخاطر التوليد النصي الاحتمالي

تعتبر "الأمانة في النقل" ركيزة العلوم الشرعية حيث قام علم الحديث وعلم الأصول على ضبط الرواية وعزو الأقوال لقائليها، إلا أن دخول الذكاء الاصطناعي التوليدي (Generative AI) أحدث إشكالية "الهلوسة المعلوماتية" (AI Hallucination).

من الناحية التقنية لا يستدعي الذكاء الاصطناعي النصوص من قاعدة بيانات جامدة، بل يقوم بـ "التوليد الاحتمالي" بناء على تكرار الأنماط اللغوية، وهذا يؤدي إلى مخاطر جسيمة في السياق الشرعي منها "اختراع أحاديث نبوية" أو "تلفيق أقوال فقهية" لأئمة المذاهب لم يسبق لهم قولها، وبناء على دراسة تقنية حديثة فإن "خطر هذه النماذج يكمن في قدرتها على تقديم الهلوسة بأسلوب لغوي واثق (Confident Tone)، مما يصعب على غير المختص اكتشاف الزيف في المراجع العلمية"[3].

[1] **الفهم المتجسد (Embodied Understanding):** قدرة الكائن العاقل على فهم المعاني من خلال التجربة والعيش في الواقع، وهو ما تفتقر إليه البرمجيات التي تعيش في بيئة رقمية فقط.

[2] Russell, Stuart. Human Compatible. New York: Viking, 2019, p. 105.

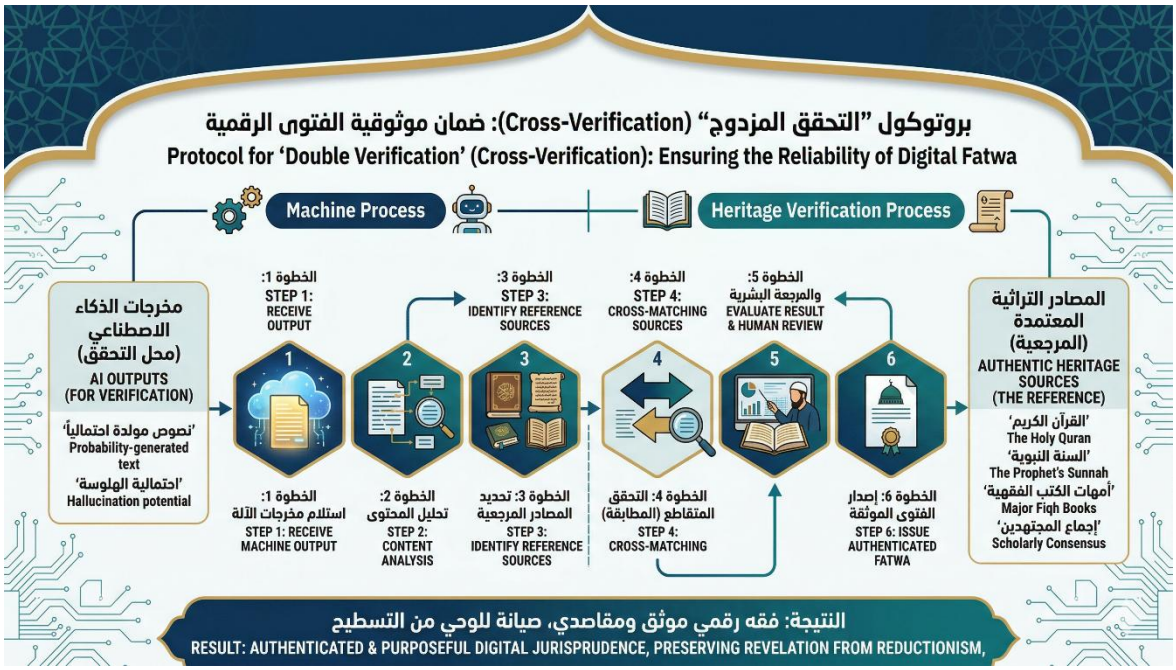
[3] Ji, Ziwei, et al. "Survey of Hallucination in Natural Language Generation". ACM Computing Surveys, 2023, p. 1.

أما من المنظور الأصولي فإن هذا التوليد يضرب في عمق شرط "الضبط" و"العدالة"، فإذا كان المفتي البشري مطالبا بالتثبت فإن الآلة بطبيعتها الاحتمالية تفتقر لهذا التثبت، ويشير الإمام النووي في مقدمة "المجموع" إلى أن التصدي للفتوى بغير تثبت أو نقل غير دقيق هو نوع من الجرأة على الشريعة.[1]

إن معضلة "الهلوسة" تجعل من الذكاء الاصطناعي أداة مساعدة لا مرجعية، إذ لا يمكن الركون إلى فتوى رقمية قد تكون بنيت على حديث موضوع ولده النظام إحصائيا لأنه يشبه لغة الأحاديث الصحيحة، وهذا ما يسميه الباحثون في أخلاقيات الذكاء الاصطناعي بـ "تزييف المعرفة" (Epistemic Deception)[2]، حيث يتم تغليب "الشكل اللغوي" على "الحقيقة العلمية".

"إن النظم التوليدية لا تدرك الفرق بين الحقيقة والخيال، فهي مصممة لإرضاء المستخدم بنص متسق لغويا (Fluent)، وليس بالضرورة نصا صادقا من الناحية المعرفية."[3]

بناء على ما تقدم تظل "الموثوقية الرقمية" رهينة التدخل البشري الناقد، مما يستوجب وضع بروتوكولات لـ"التحقق المزدوج" (Cross-Verification) بين مخرجات الآلة والمصادر التراثية الموثقة، كما يبينها المخطط الهيكلي الآتي:



[1] النووي، يحيى بن شرف. المجموع شرح المهذب. القاهرة: دار الفكر، ج 1، ص 40.

[2] **التزييف المعرفي (Epistemic Deception):** تضليل المتلقي من خلال تقديم معلومات زائفة في قالب علمي رصين، مما يؤدي إلى تآكل الثقة في المصادر المعرفية.

[3] Bender, Emily M., et al. "On the Dangers of Stochastic Parrots". FAccT '21, 2021, p. 615.

خاتمة البحث: نحو فقه رقمي رشيد في عصر الذكاء الاصطناعي

لقد خلص هذا البحث من خلال جولاته التقنية والأصولية إلى أن إقحام الذكاء الاصطناعي التوليدي (Generative AI) في صناعة الفتوى ليس مجرد تطور أداتي بل هو تحول بنيوي يمس جوهر العملية الاجتهادية، إن التمييز الذي أقمناه بين "الوعاء المعرفي" وبين "العقل المستنبط" هو حجر الزاوية في رسم حدود العلاقة بين الفقيه والنموذج الخوارزمي.

إن الدراسة أثبتت أن الرهان على الذكاء الاصطناعي كـ"مفتي آلي" هو رهان محفوف بالمخاطر الأصولية والمنهجية، نظرا لعجزه البنيوي عن "تحقيق المناط الخاص" وافتقاره لـ"البصيرة المقاصدية"، ومع ذلك فإن الإنكار الكلي لهذه التقنية هو تفويت لفرص هائلة في تجويد البحث الشرعي وتسريعه.

أبرز النتائج المستخلصة:

- الفجوة بين المحاكاة والادراك: الذكاء الاصطناعي التوليدي يحاكي اللغة الفقهية ببراعة إحصائية، لكنه لا يدرك المعاني الوجودية أو المقاصد الشرعية الكامنة وراء النصوص.
- قصور تحقيق المناط الآلي: تعجز الخوارزميات عن إدراك سياقات المستفتي المتغيرة (الزمان، المكان، الحال، المآل)، مما يجعل فتاواها عرضة للتسطيح أو التعسف.
- معضلة الهلوسة المعلوماتية: ظاهرة التوليد الاحتمالي تقوض موثوقية النص الشرعي من خلال خطر اختراع الأحاديث أو تلفيق الأقوال، مما يستوجب التدخل البشري الناقد.
- الرقمنة كجسر لا كغاية: الرقمنة في العلوم الشرعية، منذ المشافهة وحتى الأتمتة، يجب أن تظل وسيلة لخدمة الفقه وتيسير الوصول إليه، لا غاية في حد ذاتها تؤدي إلى "تزييف المعرفة".

التوصيات ومقترحات للبحث الشرعي الرقمي:

بناء على النتائج السابقة، يوصي البحث بتبني مقاربة "التكامل النقدي" (Critical Integration) بين الفقيه والآلة، وفق الآتي:

- وضع مواثيق أخلاقية ومنهجية: ضرورة صياغة بروتوكولات شرعية وتقنية تضبط استخدام الذكاء الاصطناعي في الفتوى، وتحدد مجالات عمله كأداة "مساعدة" (التلخيص، الاستخراج) وتمنعه كـ"مصدر" للفتوى.

- برامج تدريبية مزدوجة الكفاءة: دعوة الجامعات والمؤسسات الإفتائية لإدراج مساقات تجمع بين أصول الفقه وأخلاقيات التقنية، لتخريج باحثين شرعيين قادرين على محاكمة المخرجات الرقمية نقديا.

- تطوير "نماذج لغوية فقهية" متخصصة: تشجيع بناء نماذج ذكاء اصطناعي مدربة حصريا على مدونات فقهية موثقة ومعتمدة، لتقليل مخاطر الهلوسة وضمان دقة العزو.

- اعتماد بروتوكولات التحقق المزدوج: إلزامية مراجعة أي معلومة شرعية مستخرجة عبر الذكاء الاصطناعي مع المصادر التراثية المعتمدة قبل اعتمادها، تفعيلا لواجب التثبت.

قائمة المصادروالمراجع

✍ المصادروالمراجع الأصولية والتراثية (باللغة العربية)

- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. إعلام الموقعين عن رب العالمين. تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم. بيروت: دار الكتب العلمية، 1991م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. مقاصد الشريعة الإسلامية. تونس: دار سحنون، 2007م.
- الريسوني، أحمد. الاجتهاد، النص والمصلحة والواقع. دار الكلمة، 2014م.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى. الموافقات في أصول الشريعة. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. الخبر: دار ابن عفان، 1997م.
- القرافي، أحمد بن إدريس. الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، 1967م.
- القرضاوي، يوسف. الفتوى بين الانضباط والتسيب. القاهرة: دار الشروق، ط 3، 2008م
- النووي، يحيى بن شرف. المجموع شرح المهذب. القاهرة: دار الفكر.

✍ المراجع التقنية والأخلاقية (باللغة الإنجليزية)

- Bunt, Gary R. Hashtag Islam: How Cyber-Islamic Environments Are Reshaping Religious Authority. University of North Carolina Press, 2018.
- Bender, Emily M., et al. "On the Dangers of Stochastic Parrots: Can Language Models Be Too Big". FAccT '21, 2021.
- Ji, Ziwei, et al. "Survey of Hallucination in Natural Language Generation". ACM Computing Surveys, 2023.
- Noble, Safiya U. Algorithms of Oppression. NYU Press, 2018.
- Russell, Stuart. Human Compatible: Artificial Intelligence and the Problem of Control. Viking, 2019.

✍ مصادرومقالات رقمية ذات صلة

- اتفاقية مستخدم LinkedIn المحدثة (نوفمبر 2024): تضمنت أحكاماً تتعلق بميزات الذكاء الاصطناعي التوليدي وتدريب النماذج على بيانات المستخدمين.
- أكاديمية الخبرة (Lkhibra Academy): مراجع تقنية حول لغات البرمجة والتوثيق العلمي (مثل LaTeX) التي تدعم البنية التحتية للبحث الرقمي.